بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص محاضرة الإرهاب
التشخيص والحلول

لمعالي الشيخ الدكتور/ عبد الله بن بيّه، وزير العدل الموريتاني الأسبق، والأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز

لمحة تاريخية:

وقد بين من خلالها أن العنف والإرهاب قديمان بقدم العالم، وأن أسبابها متنوعة، ودلل لذلك بذكر بعض الحوادث التي وقعت في أقطار الكرة الأرضية، والتي كأن العنف فيها من الأمور الواضحات وخاصة ما كأن منها مرتبطا بالفكر أو الأيدلوجيا.

تعريف الإرهاب:

ثم أنتقل إلى تعريف الإرهاب بذكر بعض الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة رهب وما اشتق منها، ثم بين أول تعريف دولي للإرهاب والذي صدر من طرف عصبة الأمم سنه ١٩٣٧م والتي عرفته بأنه عمل إجرامي يهدف بطبيعته إلى إثارة الرعب والخوف موجه لأشخاص معينين أو مجموعة من الأشخاص أو للعموم، وشفع ذلك بذكر تعريفات لبعض الأشخاص وتعريف وزراء العدل والداخلية العرب، ثم تقدم باقتراح مؤداه تغيير مصطلح الإرهاب إلى مصطلح التخريب وعرفه بأنه عبارة عن الأعمال العنيفة التي ترمي إلى التدمير والإفساد وترويع الآمنين بقتل الأبرياء وتدمير المنشات، وترويج المخدرات، وكذلك الأعمال العنيفة التي تقوم بها العصابات ضد السلطة الشرعية لخلق جو عام من العصيان يشل النشاط العام ويخوف المدنيين أو لقلب النظام الشرعي القائم.

الجرائم التي لها علاقة بالإرهاب:

وتتميماً للفائدة رأى الباحث ذكر الجرائم التي لها علاقة بالإرهاب، فذكر تعريفها في الفقه الإسلامي، وبين العناصر الأساسية لكل منها مع ذكر العقوبات التي جاءت في الفقه الإسلامي لتلك الجرائم، وهي جريمة الحرابة، وجريمة البغي، والفساد في الأرض.

أسباب الإرهاب:

كذلك تعرض الباحث لذكر أسباب الإرهاب، فنبه على أن ما ذكر من أسباب ما هو إلا تخرصات وتخمينات لأن كل جهة تريد أن تحمله رؤيتها أو أجندتها الخاصة وأن للخلفية الثقافية للمحلل دورها البارز في تحديد الأسباب لترتيب نوعية الحلول التي يتمناها، ومن هذه الافتراضات الفقر، انعدام الديمقراطية، عدم حرية المرأة المناهج التعليمية، بعض المذاهب الإسلامية، الإسلام نفسه، قضية فلسطين والعراق، الصهيونية وأمريكا، ثم أشار إلى أن تعدد الأسباب لظاهرة الإرهاب تضع أسئلة ذات طبيعة مختلفة هل هو قضية اقتصادية، أم سياسية أم ثقافية دينية، وأنها لم تسلم من مأخذ، ثم ذكر مجموعة دراسية غربية قررت خمسة أسباب للإرهاب متمثلة في البواعث الشخصية من الناحية النفسية، وأن الديانة هي أحد الأسباب غالبا ممزوجة بأسباب أخرى لكن الدين محورها، بالإضافة إلى الأسباب السياسية، والاقتصادية، والثقافية.

ثقافة العنف:

وتحدث عنها مبيناً الحوافز التقليدية للإجرام من جمع المال وإشباع الشهوات ونحوها وأنها "أي ثقافة العنف" وليدة تلك الحوافز، وأن أول ظهور لها كأن في الغرب وخاصة في ايطاليا حيث ظهرت عصابات الجريمة المنظمة "المافيا" وأنها قد حملت السلام طيلة القرن الماضي ولا تزال في حروب دولية وثورات داخلية، وأن الصحوة الدينية الإسلامية كانت عنوانا مشتركا لكل الدعوات الجهادية والتجديدية التي واجهت الاستعمار الغربي للديار الإسلامية منذ القرن التاسع عشر حتى خمسينات القرن الماضي، كما أنها واجهت الشيوعة حقبه من الزمن في مناطق من العالم ومازالت تواجه حتى خرجت من عباءتها تيارات متطرفة تتخذ من التكفير مذهبا ومن العنف وسيلة، فأوقعت أضراراً فادحة بالأصدقاء قبل الأعداء فشوهت صورة الصحوة وقدمت ذريعة مثالية لأعداء الإسلام يهاجموا الدين جملة وتفصيلا.

الحلول:

وقد نبه فيه على أنه حتى تكون الحلول شاملة يجب أن تكون متكاملة، فمنها السياسي والاقتصادي والثقافي والإعلامي، وأنها تتراوح بين الردع والزجر وبين الإصلاح الاجتماعي والسياسي والثقافي، فهي علاج ووقاية، ثم أشار إلى الحلول المقترحة من لجنة مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية لما فيها من مراعاة للأبعاد المشار إليها حيث قدمت اللجنة ست توصيات للقضاء على الإرهاب، والفكر التكفيري.

هذا وقد صنف الجانب السياسي المذكور ضمن الحلول السابقة الذكر إلى ثلاثة أصناف على النحو التالي:

١- سياسة الحكم والعلاقة بين الحاكم والمحكوم:

وبين فيها أن السياسة في الإسلام تقوم على العدل وأن العدل أساس الملك وأن مفهوم العدل قد اتسع في العصر الحديث لارتفاع سقف مطالب الجماهير، وأن الأبرز في الاتجاه المعاصر هو مطلب المشاركة في القرار السياسي كما أشاد بنظام الشورى في الإسلام فبين أنه نظام حياة يدخل في الحياة الاجتماعية من خلاياها الأولى خلية الأسرة إلى الصروح الكبرى في الحكم، وذكر بعض الأمثلة له، ثم أشار إلى ارتياب بعض الناس نحو دعوة الغربيين للديمقراطية في العالم الإسلامي، والتي طرب البعض لها، وتحفظ البعض الآخر طارحاً سؤالا وهو ما علاقة الرسالة بالمرسل ذلك أن الرسول لا يعمل بمقتضى الديمقراطية في علاقاته بالدول المستضعفة، وكذلك داخل الدول نفسها، وما هو شكل الديمقراطية المطلوبة، ثم أشار إلى أن الديمقراطية قد تصلح لبعض البيئات دون بعض، ونبه على أنه لا بد من إصلاح لإزالة الاحتقانات الحقيقية والموهومة ذات الأسباب الداخلية والخارجية.

٢- سياسة ردعية زجرية فعالة وعادلة:

ووضح فيها أن الشريعة الإسلامية تصنف الجرائم حسب درجة خطورتها على المجتمع فتكون العقوبة تراتبية، وأن الإرهاب بغيا أو حرابة أو كل ذلك يجب أن يكون في أعلى درجات سلم العقوبات، منبها على أن السياسة العقابية في الإسلام تضع كل شيء في مكانه فلا يؤخذ البرئ بالمجرم ولا يسرف في استعمال وسائل الإكراه على الاعتراف ونحو ذلك.

٣- سياسة اقتصادية:

وهي تعني الحاجة إلى سياسة اقتصادية توازن بين التحرير الاقتصادي وبين معالجة مشاكل الفقر والفقراء والبطالة، وأن اختلال السياسة الدولية في مجالات العلاقات الدولية السياسية والاقتصادية، والاتفاقات الاقتصادية المجحفة بدول العالم الثالث تشكل ضربا من ضروب الهيمنة تخلق البيئة المناسبة للإرهاب ومن ثم يتعين إصلاح تلك السياسة ومزجها بشيء من المبادئ الخلقية التي يذكيها العقل وتدعو إليها الديانات السماوية.

ثقافة التسامح:

وهي تعني وجود قيم وتصورات تفرز ضوابط سلوكية من شأنها أن تشيع الأمن في النفوس وتجافي الجنوح إلى العنف، وحتى يمكن غرس ثقافة التسامح يجب اتخاذ كل الوسائل التثقيفية وفي مقدمتها

التعليم والتربية والإعلام الجماهيري لإيجاد تلك القيم والتصورات لضبط وكبح جماع النفوس الميالة إلى العنف وترجيح كفة التسامح وحُسن تقبل الغير.

كما ذكّر بأن الإسلام هو دين الوسطية جاء لترسيخ القيم الإنسانية في كل نواحي الحياة وأنه براء من كل تطرف، وأن تيار أهل السنة والجماعة قد ظل متمسكا بالمنهج الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، ثم نبه على أن ترجمة تلك الأمور في حياة الناس ليعودا إلى صوابهم حكاما ومحكومين متحابين غير متنافرين مهمة صعبة في جو ثقافة العنف المتبادل، وجو الأصولية الغربية الضاغطة بكل ثقلها لإيجاد الشروخ في جدار وحدة الأمة لتنفذ منها، وكما يقول فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ إن الأصولية الإسلامية ناشئة عن الضغط الذي تمارسه القيم الغربية.

مظاهر التسامح:

وأشار من خلالها إلى بعض الأمور التي اهتم بها الإسلام والتي تمثل مبادئ هامة في التعاليم الإسلامية، منها اعتبار البشر جميعا أخوة، واعتراف الإسلام للآخرين بحقهم في ممارسة دينهم، واعتبار الحوار والإقناع الوسيلة المثلى واعتبار المسالمة هي أصل العلاقة مع الآخرين، وأن أسباب الحرب هي الاعتداء وليست الكفر، ثم لفت الانتباه إلى أن المقياس الصحيح الذي يمكن أن يحاكم من خلاله سلوك أي حضارة في موقفها من الحضارات الأخرى هو سلوكها عندما تكون منتصرة، وأن التاريخ عرف ألوانا من التعصب تتمثل في الايادة الجماعية والتجهير الجماعي لا بسبب سوى أنه الآخر وكذلك حرمان الغير من حقوقه المدنية وحريته الشخصية او الدينية، وكذلك رفض ما عند الغير من آراء وقيم حتى ولو كانت نافعة، واستشهد على براءة الإسلام من التعصب بأي معنى من المعاني بشهادة كتاب ومفكرين من الغرب، يذكرون فيها القيم التي كأن يتعامل بها الخلفاء المسلمون مع الآخر، مذكراً بأنهم لو تعاملو مع الآخر في أوروبا كما تعامل غيرهم من الحكام الأوروبيين التكفير المسيحية من أوربا، ثم أنهى الحديث عن ثقافة التسامح بأنه لا بد من أنشاء جيل مستنير متعايش مع تاريخة من خلال ثقافة تقوم على الوسطية مع تفعيل فقه الاختلاف، الحوار مع الآخر ومع الذات، وتصحيح مفهوم الجهاد، وتصحيح مفهوم الولاء والبراء، ومفهوم التكفير.

توصيات وآليات:

ثم أرشد إلى أن آليات تنفيذ ما ذكر وبخاصة الشق الثقافي التربوي يجب أن تبدأ من البيت والمدرسة والجامعة والمسجد والمراكز والمنتديات ووسائل الإعلام والمجامع الفقهية ودور الإفتاء، وأيضا المنضمات الدولية ومراكز البحوث، وأندية الشباب في استراتيجية شاملة لها مداها الزمني وبرامجها التفصيلية لقطع دابر فتنة الإرهاب وحرمان الإرهابيين من تجنيد إتباع جدد.

خطة إسلامية للتعاون الدولي:

وهي تعني أن يجرى التعاون الدولي على قدم وساق في جانبة الردعي، فالأمم المتحدة بجهودها الرامية إلى حسم الصراعات الإقليمية ورعاية التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتطوير سيادة القانون ومعايير الحكم المناسب تستطيع تحسين الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحيلولة دون استفادة الجماعات الإرهابية منها.

ثم طرح سؤالاً هو ما هو مشروع العالم الإسلامي لمكافحة الإرهاب، وما موقعة من المشروع الغربي، وهل هو لاعب أم لعبة.

فالعالم الإسلامي وهو يدين الإرهاب بشدة مدعو لتقديم مشروع متماسك فيه شيء من الأخلاق والانضباط لإقناع الغربيين به حتى لا يكون الضحية الدائمة والوحيدة، وحتى يحد من خسائر معركة لا تلوح في الأفق نهايتها وذلك من خلال الأمور الآتية:

١- تحديد مفهوم الإرهاب حتى يتبين أن دفاع الضعيف عن أرضه وعرضه ليس إرهابا.

٢- تعريف الجهاد وتوضيح الفارق بين الجهاد والإرهاب.

٣- التأكيد على الشفافية في قضية الاتهام الموجة إلى الأفراد أو الدول لأهمية البينة في الشريعة الإسلامية، وفي كل الشرائع السماوية والنظم البشرية.

٤- التأكيد على عدم أخذ البريء بالمجرم.

٥- التأكيد على احترام المواثيق الدولية وسيادة الدول.

٦- التأكيد على وجود مشروع دولي لمعالجة الفقر.

٧- التأكيد على ضرورة احترام التنوع الحضاري والديني والثقافي للبشرية.

٨- التأكيد على أهمية معالجة المظالم في العالم حتى تجتث جذور الإرهاب.

٩- تحديد مفهوم الإصلاح المطلوب دولياً ومحلياً.

١٠-إيجاد آليات تعاون أمني تنساب فيها المعلومات بشكل متبادل بين الدول.

والله الموفق ،،،